الثابت والمتغير فى تشكيل البورتريه

د. أبو الفتح على أبو شادى

أستاذ التصميم المساعد ورئيس قسم التربية الفنية
كلية التربية النوعية – جامعة المنصورة

مشكلة البحث

أصبحت المفاهيم والمعايير فى هذا الزمن دائم التغير اشد سرعة فى هذا التغير .. فما كان حقيقة بأمس نجده متغيرا اليوم .. ومن المعلوم ان هنالك دراسات سابقة وحاولت تعريف الفن ومن هذا المنطلق تكمن مشكلة البحث فى التساؤل التالى :

هل يمكن تعريف الفن بأنه علم ؟ أو أنه ثقافة ؟ أو هل هو حالة ؟ .

الهدف من البحث :

محاولة الباحث الوصول إلى تعريف آخر للفن وذلك للتفسير الصحيح لما يحيط بنا وينبع من داخلنا ومع ذلك لانفهمه ولانعرفه – وهو ما يسمى (بالفن) .

فروض البحث :

١- محاولة الباحث تجميع أكبر قدر من اقوال السابقين .. ومدلول اللفظ فى المعاجم والقواميس .

٢- المقارنة بين الثابت والمتغير .. فالثابت هو الموضوع (وجه الإنسان) والمتغير هو (تشكيلات مبتكرة لملامح وجه الإنسان) وذلك بتنوع الشخصيات سواء بطريقة النقل المباشر أو التحوير وأحياناً تحطيم القواعد – لأن القاعدة فى الفن (أنه لاقاعدة) .

٣- استخدم البصيرة لا البصر فى التعبير عن الشخصية الداخلية لصاحب الوجه والتى هى أقرب إلى رسوم الكاريكاتير بمعنى التشخيص او التجسيد . ومن الحقائق أنه لايوجد فى الطبيعة متشابهان حتى لو كانا توءمان .

منهج البحث :

يعتمد البحث على المنهج الوصفى الإبداعى فى تقسيم البحث إلى جزء نظرى نقدى وجزء عملى (إبداعى) .

محاولة لتفسير علمى للفن :-

١- الفن فى نظر الشخص العادى : يعتبر الفن فى رأى الشخص العادى هو السينما والغناء والمسرح والموسيقى . ولو أننا تصفحنا إحدى الصحف والمجلات الفنية المتداولة داخل مصر لوجدنا فى حديثها عن الممثلين والمخرجين وأبطال السينما والغناء والرقص ، حتى أصبح لفظ " فنان " عندنا مقتصر على محترف هذه الألوان من الفنون . وبرغم أن طائفة المثقفين فى مصر قد " تدخل بعض الفنون البصرية كالنحت والتصوير ضمن الفنون الجميلة إلا أن الغالبية العظمى من الناس قد لايتجهون بأبصارهم نحو الشعر أو النحت أو التصوير أو المعمار ، ويمكننا أحياناً نتحدث عن بعض الفنون كفن الطهو وفن الحديث وفن الإذاعة وفن الدعاية وفن الإخراج وفن الدفاع والهجوم فى كرة القدم " إن أصغر لاعب أشهر من محمود مختار .

٢- والسؤال الذى يطرح نفسه هو ما هو تفسير ذلك ولماذا وكيف ؟ وما هو القاسم المشترك بين هذه الفروع المختلفة من الفن إذا كان استعمال هذا اللفظ مشروعاً بالنسبة إليها جميعاً ؟ فهل الظرف المتغيرة هى السبب والحق أنه إذا أطلق هذا اللقظ على كل شئ فهو عندئذ لامعنى له ولايعنى شيئاً ويصبح مثله مثل كل الألفاظ التى تتداولها الألسن دون أن يكون لها مدلول فى أذهان العامة والمتخصصين فى عصر فيه ماتت الثقافة الراقية وأصبح فن الحصول على المال هو الفن الأول والأخير .

٣- والحق أنه عندما نتحدث عادة عن الفنون فإننا قد نعنى بهذا اللفظ " مجموع المهارات البشرية على اختلاف ألوانها والدليل على ذلك أننا نتحدث عن " الفنون النافعة " أو الفنون التطبيقية والفنون الكبرى والفنون الصغرى كما نجد أن هناك إشارات غامضة من بعض المتخصصين إلى فنون الزمان وفنون المكان التجسيمية والفنون الرمزية وفنون الزينة والأزياء والمكياج .

٤- وقد نجد أنفسنا فى كثير من الأحيان عاجزين عن التميز بين كل تلك الفنون أو تحديد الفوارق بينها وقد تدخل الموسيقى والأدب فى " الفنون الجميلة " بينما قد يقصر

البعض هذه التسمية على الفنون المرئية كالتصوير والنحت . وقد تتسع دائرة الفن فى أنظارها فتشمل كل مهارة عملية أو صناعة تطبيقية أو انتاجاً مهنياً ، ويمكننا أن ندرك مدى اتساع دائرة الفن فى العصر الحديث إذا علمنا أن الباحثين الأمريكيين المعاصرين يحصون حوالى مائه فن من الفنون البصرية والسمعية ، حتى أصبحت هذه الفنون تشمل مهارات بشرية مختلفة كالألعاب الرياضية ، والسينمائية وصناعة الأوانى الخزفية وتصفيف الشعر وإعداد المعارض والأزياء وعندنا الرقص الشعبى والفن الشرقى .. حتى أن الراقصة أشهر من أى وزير للثقافة .

٥- أصل كلمة " الفن " باليونانية اللاتينية هو : لو أننا رجعنا إلى الأصل الذى اشتقت منه كلمة " الفن " فى اللغة اليونانية لوجدنا أنها لم تكن تعنى سوى " النشاط الصناعى النافع بصفة عامة " ولم يكن " الفن " مقتصراً على الشعر والنحت والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة . بل كان يشمل أيضاً الكثير من الصناعات المهنية كالحدادة والنجارة ، والبناء وغيرها من الإنتاج الصناعى . ونجد أن أرسطو قسم المعارف إلى ثلاثة أنواع هى :-

١- معارف نظرية ٢- معارف فنية ٣- معارف علمية

فلم يكن أرسطو يخلط بين الفن والمعرفة العلمية ، بل كان يرى أن الفن مجرد غاية ضرورية توجد خارج الفاعل وليس على الفاعل سوى تحقيق إرادته فيه – فى حين أن غاية العلم العملى هى فى الإرادة نفسها وفى الفعل الباطن للفاعل نفسه والتأثير على الملتقى أو المشاهد . وعلى ذلك فإن أرسطو يرى أن موضوع المعرفة الفنية إنما هى الإرادة بوجه من الوجوه . وعلى ذلك يكون الفن بهذا المعنى يشير إلى القدرة البشرية بصفة عامة مادام الإنسان هو ذلك الموجود والصانع الذى يصنع الأدوات ويستحدث الموضوعات وتنتج الأشياء ، ولعل ذلك هو السبب فى أن الفلاسفة قد وضعوا " الفن " منذ البداية فى مقابل الطبيعة ، والإنسان يحاول عن طريق هذا الفن إستخدام هذه الطبيعة وإلزامها بالتكيف مع أغراضه والتكيف مع حاجاته المادية والنفسية والروحية .

٦- تعريف الفن عند العرب : وحينما نتعرض لتعريف الفن عند العرب نجد أنهم أيضاً قد فهموا " الفن " على غرار فهم أرسطو له ، فهم يرون أيضاً أن الفن " هو الصناعة

التى تأخذ من النفس والعقل وتحاكى الطبيعة " وقد كان العرب أيضاً يستخدمون كلمة الصناعة للإشارة إلى " الفن " بشكل عام ، كفن الخط العربى – قرض الشعر – الزخرفة . وعلى ذلك فقد رأى أن الفن هو الإنسان مضافاً إلى الطبيعة ودور الصناعة هو تسجيل ما تمليه النفس الناطقة على الطبيعة وتكييف الطبيعة مع حاجات الإنسان النفسية والعقلية والروحية .

٧- تعريف الفن فى العصور الوسطى المسيحية : أما كلمة الفن فى العصور الوسطى المسيحية فقد بقيت فى اللغة اللاتينية تشير إلى الحرفة أو الصناعة أو النشاط الإنتاجى الخاص وقد كانت الفنون الحرة أو الإنسانيات فى العصور الوسطى تشمل الفروع السبعة للمعرفة وهى : النحو والمنطق والحساب والبلاغة والهندسة والموسيقى وعلم الفلك .

٨- وهناك كثير من المعاجم الإنجليزية الحديثة تنص على أن المدلول الحضارى لكلمة " الفن " بوصفه نشاطاً يهدف إلى غايات عقلية ثقافية دون أن يكون للرأى طابع علمى أو مهنى ، وعلى ذلك يكون هذا هو السبب فى أن كليات الاداب فى الجامعات الإنجليزية لازالت إلى يومنا هذا تحمل اسم كلية الفنون .

٩- تعريف الفن فى معجم لالاند الفلسفى : أما كلمة الفن فى معجم لالاند الفلسفى فهى منسوبة إلى الآتى :

١- معنى عام يشير إلى مجموع العمليات التى تستخدم للوصول إلى نتيجة معينة تنفع الإنسان روحياً أو حسياً بمعنى (حالة جمالية) .

٢- معنى جمالى (إستاطيقى) يجعل من الفن كل إنتاج للجمال يتحقق فى أعمال يقوم بها كل من يتصف بالشعور ، ويعبر بصدق عن جوارح النفس البشرية . وعلى ذلك يكون الفن بالمعنى الأول هو (مجموعة من المبادئ العامة الحقيقية النافعة والمتوافقة التى تؤدى إلى غاية واحدة بعينها) وبهذا يكون الفن بهذا المعنى هو ما يقوم به فى مقابل العلم بوصفه معرفة خالصة مستقلة عن سائر التطبيقات العملية وما يقوم به فى مقابل الطبيعة من جهة أخرى بوصفها قدرة فاعلة تنتج بدون وعى أو تفكير وبذلك فإن الفن هو عملية إبداعية أو اتجاهاً

جمالياً . يتلقاها الإنسان بحيث تؤثر على حالته النفسية .

١٠- وهناك مقولة أخرى قد أقامها سفيتانا عن معنيين مختلفين :

١- معنى عام يجعل من الفن مجموع العمليات الشعورية الفعالة التى يؤثر بها الإنسان عن طريقها على بيئته الطبيعية ليشكلها ويكيفها .

٢- مبنى خاص يجعل من الفن مجرد إستجابة للمتعة أو اللذة دون أن يكون للحقيقة أى داخل فى هذه العملية (١ + ١ = ٢) حقيقة علمية وليست جمالية وبذلك يكون الفن بمعناه العام هو كل فعل تلقائى يعززه النجاح والتوفيق ، بشرط أن يمتد إلى العام فيجعله متوافقاً مع النفس والعقل والروح والحالة الوجدانية .

١١- مفهوم الفن عند بعض الكتاب المحدثين : وهناك كثيراً من الكتاب المحدثين يربطون بين مفهوم الفن ومفهوم الجمال فيعرفون الفن على أنه القدرة على توليد الجمال أو المهارة فى إيجاد متعة جمالية ولذة روحانية ووجدانية والإحساس بوحدة الخالق عز وجل فى الفنون الراقية التى لاتثير شهوات النفس بل ترتقى بالروح .

١٢- مفهوم الفن من دائرة المعارف البريطانية : ولو أننا رجعنا إلى دائرة المعارف البريطانية نجد أن الكاتب الإنجليزى " سندى كولثين " يفرق بين الفنون الجميلة وغيرها من الفنون الأخرى فيقول " وإن الفنون الجميلة هى فنون الإنسان بطرق خاصة أولاً من أجل اللذة الخاصة المستقلة عن أنه منفعة مباشرة ، (وهذه اللذة يستشعرها فى أداؤه لتلك الأعمال) وثانياً من أجل اللذة المماثلة التى يشعر بها من مشاهدة أو تأمل تلك الأعمال حيث يتلقاها غيره من الناس ، وتنقل لهم الخبرة الجمالية.

١٣- مفهوم الفن فى معجم اكسفورد : ولانجد معجم اكسفورد قد بعد كثيراً من تعريفه للفن عن دائرة المعارف البريطانية فعرفه الفنان على أن ذلك الشخص الذى يمارس عملا لاغاية له سوى تحقيق اللذة أو الإعجاب وبذلك يكون الفن مجرد مهارة فى إحداث الجمال أو اللذة الجمالية ، أو القدرة على التنفيس عن النفس البشرية . ويبدو أن أصحاب هذا الرأى كانوا متأثرين بنظرية كانط فى الفن ففرقوا بين الفن

والمهنية وذهبوا إلى أن الفن نشاط تلقائى وأن المهنة صناعة مأجورة تستهدف إلى المنفعة والكسب المادى .. أما الفن يهدف إلى السعادة المعنوية الروحانية .

١٤- رأى تولستوى النقدى فى تعريف الفن : يعتبر تولوستوى الروائى الروسى الشهير هو أول من رفض إدخال مفهوم الجمال أو اللذة فى تعريف الفن وذكر ذلك فى كتابه " ماهو الفن " معبراً على أن الكوميديا والدراما والمأساه كما كتب على عكس كل الفلاسفة والكتاب الذين عرفوا الفن على أنه الجمال أو المتعة أو اللذة فهم فى رأيه بذلك يشبهون الفن بالطعام او الغذاء لما يسببه لنا الفن من متعة أو اللذة فى حين أن المهم هو معرفة الدور الذى يلعبه الفن فى حياة الإنسان بصفة عامة ، كما يتوقف الغذاء على أهميته الغذائية فى حياة الكائن الحى كضرورة للجسد .. أما (الفن يكون للروح فقط) ويرى تولستوى أن التعريف الصحيح للفن يتوقف أولاً على عدم اعتباره لذة أو متعة ولكننا يجب أن ننظر إليه على أنه مظهراً من مظاهر الحياة البشرية .

الكارزما : الجاذبية

وعندئذ لن نجد صعوبة فى تعريف الفن على أن احدى وسائل الإتصال بين الناس حيث أن الإنسان ينقل أفكاره بالكلام إلى الآخرين فهو كذلك يستطيع أن ينقل عواطفه عن طريق الفن إلى الآخرين ، وبذلك يكون الفن فى نظر تولستوى ليس أقل أهمية من الكلام فهو فى رأيه أداة للتواصل بين الأفراد . كما أن العمل الحقيقى فى نظر تولستوى هو كل إنتاج صادق لمحو فاصل بين صاحبه من جهه وبين الإنسان الذى يوجه إليه من جهه أخرى ، أى حالة توحد نفسى بين الفنان والمتلقى . كما أنه يعتبر ذلك الإنتاج المملوء بالعواطف التى توجد بين القلوب ليزداد التقارب بين البشر وتعاظم الحميمية بينهم . كما أن الميزة الرئيسية للفن إنما تنحصر على وجه التحديد فى قدرته على محو كل الفواصل بين الناس لكى يكون هناك إتحاداً حقيقياً بين الجمهور والفنان ، وأن (كارزما) الفنان يجذب إليه كل البشر . ويرى تولستوى أن مدى صدق الفن يتوقف على ثلاثة شروط :

١- الأصالة أو الفردية أو مدى جدية العواطف التى يعبر عنها .

٢- مدى الوضوح فى التعبير عن العواطف المجياشة القوية .

٣- إخلاص الفنان أو شدة العواطف التى بعد عنها (وشبه ذلك بأنه كالمغناطيس يجذب إليه كل الناظرين إليه) .

١٥- وكثيرا ما نربط بين الفن " والحلم " كبعض علماء الجمال فترى أن (كل مهمة الفن هى خلق عالم خيالى) تكون الوظيفة الأولى هى أن يكون (مخالفاً) بوجه من الوجوه للعالم الذى نحيا فيه . ونكون بذلك قد أغلقنا حقيقة هامة وهى أن الخيال وحده لايكون جوهراً للعقل الباطن حيث لايكفى لتفسير العمل الفنى بالفن ليس مجرد عاطفة أو وجدان أو حلم أو خيال وإنما الفن هو أيضاً خلق وصناعة أو إنتاج ومهارة ومعنى ذلك أنه لايمكن أن يكون هناك فن إن لم يكن هناك قدرة على تنظيم الأحلام وبعثها فى جسم معين هو ما يسمى بالآثر الفنى . أى العمل الفنى والقدرة على تذوقه .

١٦- وبعدما تعرضنا بالتعريف على مر العصور : وفى مختلف الثقافات وبعض الاتجاهات الفلسفية لتعريف الفن يمكننا أن نجمل هذه التعريفات كما وردت على ألسنة أصحابها وفى كتاباتهم كما يلى :-

١- مجموع المهارات البشرية على اختلاف ألوانها . ولها صفة التجديد .

٢- النشاط الصناعى النافع بصفة عامة يتضمن الشكل الجميل .

٣- صناعة تأخذ من النفس وتملى على الطبيعة أو العكس .

٤- نشاط هدفه غايات عقلية ثقافية مشبعة بالخيال بدون طابع علمى (حقيقة علمية).

٥- مجموع العمليات التى تستخدم للوصول إلى عملية معيشية بأساليب غير مطروقة أو طرق غير مسبوقة .

٦- مجموعة من المبادئ العامة الحقيقية النافعة والمتوافقة والتى تؤدى جميعها إلى غاية واحدة بعينها بمعنى تنمية المشاعر والإحساس بالجمال .

٧- مجموع العمليات الشعورية الفعالة التى يؤثر الإنسان عن طريقها على بيئته الطبيعية كلى يشكلها ويكفيها لهدف وظيفى أو روحى .

٨- نشاط للمتعة أو اللذة دون أى تدخل للحقيقة فى هذه العملية .

٩- القدرة على توليد الجمال أو المهارة فى إيجاد متعة جمالية معنوية .

١٠-إنتاج صادق يلغى كل فاصل بين المنتج وبين الإنسان الموجه إليه .

١١-القدرة على مزج الدين (الروحى) بالفن (الحس) فكل الحضارات القديمة قامت على هذه المحورين لأن الفن والدين وجهين لعملية واحدة .

بعدما تعرضنا بالتعريف للفن يأتى دور العمل الفنى وهنا سوف نتعرض للعمل الفنى من حيث بناؤه وعناصره ، وقد علمنا مما سبق أن من أحد تعريفات الفن أنه القدرة على توليد الجمال أو المهارة فى إيجاد متعة جمالية ، فإذا كانت الوظيفة الأساسية لعلم الجمال أن يجعلنا فى وضع مواجهة مع العمل الفنى الذى نرى فيه المحسوس بكل صدق ، وبذلك يمكننا وصف العمل الفنى بأن موضوعاً جمالياً . والأعمال البيئية أما أن تكون مكانية كاللوحات والتماثيل أو زمانية كالمعطوعات الموسيقية ، وفى الحالتين يجب أن يكون للعمل الفنى وحدته المادية التى تجعله فناً موضوعاً حسياً يتصف بالتماسك والإنسجام والتعبير عن الحقيقة الروحية أو التعبير عن الحالة الوجدانية . ولابد أن يكون للعمل الفنى هيئة تظهر المظهر الحسى (المادى) للموضوع الجمالى وبنية زمانية تعبر عن مدلوله الروحى بوصفه عملاً انسانياً حسياً (يرى – أو يسمع – أو ينطق) .

وبناء على ذلك يرى بعض علماء الجمال احتواء العمل الفنى على ثلاثة عناصر هى:-

١- المادة (الخامة) ٢- الموضوع (الفكرة) ٣- التعبير (أسلوب التنفيذ).

وسوف نتعرض بالتفصيل لكل عنصر من عناصر بناء العمل الفنى :

أولا : العنصر الأول :

المادة : أن لكل فن مادته سواء أكانت هذه المادة هى اللفظ – الألوان أم الصوت أم الحركة أم الحجارة .

وهذه المادة لايمكن بأى حال من الأحوال أن تصبح مادة جمالية إلا إذا مستها يدا الفنان فتجعل منها محسوساً جمالياً نستشعره حينما نراه مطوعا بفعل المهارة الفنية للفنان وهو بالتأكيد ذو مواهب خاصة وفى فن المعمار والنحت نجد أن المادة تكون أكثر مقاومة من

أى فن آخر فالمادة تكون فى حالة عصيان وتمرد . أثناء التشكيل . أو شئ من الفراغ إذا كان لحناً .. أو كلمة ذلك فى الموسيقى أو الشعر .

وقد كان مايكل أنجلو أشهر المثالين فى التاريخ يصنع تماثيله وهى فى حالة من العنف والغضب والهياج حتى أنه حينما سئل عن ذلك . أجاب .. أننى أبغض تلك الحجارة التى تفصلنى عن تمثالى أو تماثيلى إننى أرى عملى الفنى داخل الحجر .

أى أنه يرى التمثال سجيناً داخل الحجارة وهو يتعامل معها بعنف للوصول إليه .

والعمل الفنى يجب أن تتحد كل العناصر المادية المستخدمة فى تركيبه للعمل على خلق ذلك .. المحسوس الجمالى ، الذى لابد أن يستحوذ على إنتباهنا ويجذبنا له .. ويحولنا من حالة إلى حالة بعضاً من الموسيقى تهدئ الأعصاب أو أغنية ذات شجن .

ومعنى ذلك أن مادة العمل الفنى ليست مجرد شئ صنع من هذا العمل وإنما هى غاية فى ذاتها لها صفات حسية تساعد على تكوين الموضوع الجمالى . لأن هذه الحجارة ليست كما تبدو لنا فهى ذات أحجام مختلفة وتنقسم بالإنسجاب فى النسب وللضوء تأثيرات مختلفة على سطوحها . فالحجارة هذه ليست جماداً كما نراها ولكنها ثمرة لعملية جمالية تتحول على يد الفنان إلى كائن خالد يثرى الحياة بل الأعمال الفنية أكثر خلوداً .

وبناء على ذلك فإن جمال العمل الفنى لاينحصر فى جمال الموضوع ولكنه يظهر أولاً فى مظهره الحسى الذى ينعكس على حواسنا والذى أحياناً ندركه بالبصائر .

وهناك بعض الفنون التى تطغى منها المادة على المحسوس الفنى نفسه كالعمارة والنحت كما أن هناك مواد أخرى تستخدم فى تحقيق العمل الفنى لاتكاد تفصح عن كيفياتها الخاصة مثل التصوير أو الموسيقى . كما أن الفنون التمثيلية تستخدم وسائلها المادية للتعبير عن الموضوع المراد تصويره فهى لاتسمح فى كثير من الأحسان للمادة بالظهور المباشر – فالفنان يحول المادة إلى عمل روحانى وجدانى وهذا ما يسمى بالحالة الجمالية وهذا ما يسعى المثال للوصول إليه أحياناً عامداً إلى عدم الاهتمام بالقواعد الهندسية من أجل الوصول إلى عمل فنى لايكون وليد الصعنة المادية وحدها . بل أن الفكرة هى الأساس . ولابد أن تعمل جميع الفنون على تنظيم المحسوس وتركيبه بحيث يسمح لنا بإدراكه دون

غموض أو لبس . وندرك من أول وهلة بأن هذا عمل فنى .. وليس نصف فن . لأن الحقيقة هذا فن أو لافن .

لذا كان لابد لكل عمل فنى أن يستعين بمجموعة من الأشكال المتسقة والنماذج الإيقاعية من أجل تنظيم هذا المحسوس بالطريقة التى تتفق مع التعبير عنه .

وسواء علينا نظرنا إلى الموسيقى أو التصوير أو الشعر أو النحت أو المسرح ... الخ فإننا حينئذ سنجد أنفسنا أمام طريق من التسلسل الفنى أو التنظيم الجمالى ، سواء كان هذا التنظيم على شكل سلم من الأنغام أو الألوان أو الكلمات أو الخطوط والسطوح أو الحركات . والعمل الفنى لابد وأن يكون ثمرة لعملية منهجية خاصة وهى عملية تنظيم العناصر التى تتكون منها حركته وهذه الحركة هى التى تعطينا الإحساس بالزمان مما يجعله موجوداً حياً تشيع فيه الروح كأنه يتنفس .

وهذا يعنى أن العمل لابد أن يصدر عن مهارة إبداعية تعمل على تركيب الحركة إبتداء من الساكن وتحقق الزمان بابتداء من المكان ، وهنا يستعين الفنان بأساليب الإيقاع والتنظيم والتناسب من أجل الوحدة على التعددية فى الموضوع فى الحركات والأشكال والضوء . والفنان يمكن أن يتلاعب ببعض العناصر المتشابهة والمخالفة وبذلك يمكن أن يكسب عمله الفنى إشعاعاً خاصاً زمانياً حياً وهنا يأتى التكرار والترديد والتناظر والتماثل – فتكون جميعها ظواهر منسقة تساعد على إبراز الإيقاع وإظهار التنويع وإيضاح الجدية وإظهار عنصر الزمان والمكان – ويتحدان معاً فى هيئة واحدة .

وحينما ينفذ عامل الإيقاع إلى داخل المادة فإنها عندئذ تتحول إلى موضوع جمالى يتمتع بالكيفية الزمانية والمكانية .

ثانيا : العنصر الثانى من عناصر بناء العمل الفنى :

الموضوع :-

يعتبر الموضوع هو العنصر الثانى من عناصر العمل الفنى والموضوع هو ما تحتله اللوحة أو التمثال أو الوان القصيدة ... الخ و بذلك ينتظم المحسوس الجمالى على شكل علامة من الموضوعات الإنسانية كالحب والفرح والسعادة أو الرثاء والحزن . وعندما

نتحدث عن الموضوع الذى يحتله الموضوع فإننا سرعان ما تقابلنا مشكلة ألا وهى أنه ليست بالضرورة أن يحتوى جميع الفنون على الموضوع كالموسيقى لأنها مجرد معادلات رياضية تسمع بأصوات جميلة . نشعر بها ولامسكها .

وفى الموسيقى مثلاً نجد السيمفونيات لاتحتوى على أى موضوع مباشر .. ولكن إنطباع وجدانى تؤثر على النفس ، قد تفرح بها أو نحزن أو نرقص فرحاً بها .

وفى التصوير والنحت أيضاً نجد أحياناً اتجاهاً تجريدياً فنجد تصويراً مجرداً ونحتاً مجرداً ، يختفى منه عنصر التمثيل أو الموضوع أو المعنى .

ولكن هذا لايعنى أنه لم يعد للموضوع أى دور فى صميم العمل الفنى كما يكون فى بعض الفنون أحياناً كالمعمار والموسيقى . وقد أخذ المصورون ينادون بأن قيمة العمل الفنى لاتقاس بقيمة موضوعة ، كما أن جمال اللوحة لايقاس بجمال النموذج الذى يمثله وهذا ما جعل الإتجاه التجريدى فى النحت والشعر يحرر هذه الفنون من أسر الموضوع ، وهذا ما أراده الفنانون للتحرر من سطوه الموضوع لكى تكون للفن لغته الخاصة به . مثل الفنون الحديثة . وفى أحيان أخرى نجد بعض الفنانين يقعون فريسة لسحر الموضوع فيحاولون أن يتخذوا من فهم وسيلة للإقناع أو الإثارة أو الأغراء مثلما يحدث فى الفن الأكاديمى على سبيل المثال . كفنون عصر النهضة .

وقد نجد أحيانا كثيراً من الفنانين المحدثين يبالغون فى اصطناع النزعة التجريدية حتى أنهم أرادوا استبعاد الموضوع تماماً من عناصر بناء العمل الفنى . وكأنهم بذلك يريدون أن يقذفوا للجمهور دليلاً قاطعاً على أن من الخطأ الإستناد إلى الموضوع وحده للحكم على القيمة الجمالية للعمل الفنى ، مثل الأشكال الزخرفية – هى أشكال جميلة وفقط .. مثل السحب أو الزخرفة الموجودة فى الأصداف – أو تموجات الرمل .. الخ .

وفى أحيان أخرى نجد بعض صغار الفنانين يميلون إلى اختيار موضوعات مثيرة من أجل استمالة أنظار الجمهور إلى أعمالهم . بينما نجد كبار الفنانين لايميلون فى اختيار موضوعاتهم إلى المبالغة على اعتبار أن بساطة الموضوع لاتتعارض مع أصالة التنفيذ وقوة الصورة لأن الفن تكثيف وتركيز أما العلم فهو تحليل وتفصيل التفاصيل . وفى كثير من الأحيان تطغى الصورة على الموضوع فى نظر الفنان فنراه يضع الموضوع فى المرتبة

الثانية بعد الصورة ويغير من الموضوع الطبيعى إلى موضوع فنى خالص أو خيال مجنح .. أو أشكال لايوجد لها مثيل .

وهو بذلك يعتبر أن مهمته الاولى هى خلق عالم متسق من الصور الحية بعيده كل البعد عن الحقيقة الطبيعية لها . إلا أن علماء النفس يرون أن الموضوع والإبداع الفنى مستندين فى ذلك إلى الفنان عند اختياره لموضوعاته فهو بذلك يكشف لنا طبيعة شخصية ، وبذلك يمكننا أن نحكم على شخصية من أسلوبه فى اختياره موضوعاته ، مؤكدين أن لاشيئ ينبع من فراغ .. ولابد من خبرة سابقة قبل العملية الإبداعية غير أننا أحياناً نجد بعض الآراء المخالفة لذلك مثل المصور الفرنسى الشهر " اوجيه " " ديلاكرواه " الذى يرى أن الموضوع ما هو إلا مناسبة عارضة يختارها الفنان أو ذريعة خاصة يصطنعها اصطناعاً . أو حافزاً يبدأ به كى يمضى فى عمله الفنى متحمسا .

والحقيقة هى أن تكرار أى موضوع معين بذاته بالنسبة لفنان معين بذاته أيضاً لا يدل على أنه أمر عارض ويكون حينئذ يكون ظاهرة نفسية وليس من صنع الأقدار أو الصدفة ، وقد تكون حالة نفسية تشبه الوسواس القهرى ، مثلما فعل بيكاسو فى اختياره للجورنيكا بأسبانيا لموضوع لعدد كبير من أعماله ، ولكل فنان حقيقى (لازمة) أو بصمة تدل عليه ، كما نرى فى لزمات الفنان فى السينما لزمات إسماعيل ياسين مثلاً .

ونستخلص من ذلك أن الموضوع مرتبط بالإبداع الفنى لدى الفنان وكلما كان هذا الموضوع أكثر حيوية كان الفنان أكثر ابداعاً ، وكلما كان صادقاً ودالاً على شخص الفنان ، يكتب له الخلود ، ولابد لنا أن ندرك تمام الإدراك أن الفنان لاينسخ الموضوع أو ينقله نقلاً حرفياً وبطريقة آلية ولكنه ينقل لنا ما يعادله فى الإحساس بالمعنى الوجدانى والعقلى الذى يتم عنه هذا الموضوع الذى نعرفه جميعاً .. ولكن الفنان هو وحده الذى استطاع التعبير عن ذلك .

فالفنان ليس ناقلاً وإنما هو مترجماً للموضوع بما فيه من أحاسيس يراها بعين الفنان وينقلها للمشاهد العادى وهذا هو فى حد ذاته هى الإبداع الفنى .

ثالثا : العصر الثالث نو

التعبير : وهو العنصر الثالث من عناصر بناء العمل الفنى فإذا كان موضوع العمل الفنى مملوء بالمعانى فإن هناك أيضاً معان أخرى حول العمل الفنى وذلك بسبب ما يحتويه من أحساسيس ومشاعر . ويمكننا القول بأن الميزة الرئيسية للموضوع الجمالى (الاستاطيقى) هى أن يقدم مجموعة كثيرة من المعانى التى تدل على عمق هذا الإحساس .

ويمكننا القول بأن هناك بعض الأعمال الفنية التى قد تتسم بالغموض أو اللبس ويكن العمل الفنى الأصيل هو ذلك العمل الذى ينطوى على غراره فى المعن بحيث لا يكون هذا الثراء فى المعنى ناتجاً عن الصدق فى المشاعر والوجدان . فالفنان فى هذا العالم ليس هو ذلك الناقل الذى ينسخ الأشياء كما هى فى هذا العالم وإنما هو ذلك المنافس العنيد الذى يمتلك القدرة على تحويل الواقع إلى معان وجدانية يستشعرها المشاهد مباشرة دون معرفة السبب الحقيقى فى حبه لهذه الأشياء التى تؤثر عليه .

فالفنان عند شعوره بالمرأة يعرف أنها ليست مجرد صورة ينقلها وكأنها مجموعة من الملامح والحركات والسكنات ، وإنما هى تعبير فردى ، عاطفى وجنسى والدليل على ذلك أننا دائماً نتذكر الوجه الذى نراه بتعبيراته ومعانيه التى يحملها وليس بملامحه وقسماته . ومن هنا نجد أن علماء الجمال يرون أن " التعبير " هو ذلك الرباط الحى الذى يجمع بين الثقافة وعمله الفنى أو بين الفكر والتنفيذ كلاً متحد .

وعلى ذلك تكون الوظيفة الأساسية للتعبير هى ترجمة الواقع بلغته الخاصة إلى أن يكشف لنا عما ينطوى عليه الواقع من معان مباشرة مثال ذلك (ميكى ماوس) لو كان فأر حقيقى ما أحببناه – ولكنه كشكل فنى ، نحبه كذلك ولانرضى بغير ذلك .. هذا هو الفن .

شكل ١- براءة الطفولة .

شكل ٢- الله أعلم بالسرائر .

شكل ٣- الجدة الطيبة (ست الحبايب) .

شكل ٤- معدوم الدخل .

شكل ٥- فلاح من الكفر .

شكل ٦- قناع + قناع لرجل واحد .

شكل ٧- ابتسامة الشيطان .

شكل ٨- واحد غلبان .

شكل ٩- واحده غلبانه .

شكل ١٠- البكاش .

شكل ١١- الغلباوى .

شكل ١٢- عين الحسوده .

شكل ١٣- حلم الطفولة .

شكل ١٤- دساس الأنف .

شكل ١٥- عروسه (١)

شكل ١٦- عروسه (٢)

شكل ١٧- عروسه (٣)

شكل ١٨- واحد خبيث .

شكل ١٩- واحد لئيم .

شكل ٢٠- الاستاذ

شكل ٢١- استاذ الاساتذه

شكل ٢٢- قناع

شكل ٢٣- قناع

المراجـــــع :

١- أبو حيان التوحيدى - الامتاع والمؤانسة – لجنة التأليف والنشر – دار الكتاب .

٢- الشخصية الفنية – محمود البسيونى – دار المعارف الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

٣- أصول التربية الفنية – محمود البسيونى – دار المعارف – طبعة ثانية ١٩٨٣ .

٤- الجمال والفن – ماهر كامل – الأنجلو المصرية – ١٩٨٤ .

٥- أفلاطون – المحاورات – ترجمة زكى نجيب محمود – لجنة التأليف والنشر .

٦- الموسوعة الفلسفية المختصرة – ترجمة فؤاد كامل – مكتبة الانجلو المصرية .

٧- مشكلة الفن – زكريا ابراهيم – مكتبة مصر .